

الباب الثالث

الشعر العربي في العصر العباسى

١. تطور الشعر في العصر العباسي

عند قيام الدولة العباسية كان الشعر يعيش في ظل التقاليد العراقية التي حافظ عليها الأمويون بعد أن حالوا بينها وبين كل أمر جديد مستحدث، وشجعوا على جمع الشعر القديم، وهذا حذوهם العباسيون في أول عصر لدولتهم، ومن هنا كان النموذج تقليدياً في الشعر هو الذي اقتاداه وأحياناً كبار الشعراء في عهد بني أمية، أمثال الفرزدق الأنخطل، وجرير، وشعراء الدولة العباسية في أول عهدها.^{٣٧}

ولما ظهرت حركة الموالى واذهرت، وتطورت نتيجة التأثير الفعال في العناصير الأجنبية على الساحة العلمية ظهرت معها دعوة قوية لاستحداث أنماط شعرية جديدة تختلف في جوهرها عن الشعر القديم، ولكن سرعان ما تطورت هذه الحركة التجددية بفضل إصرار أصحابها،

١. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني و الثقافي والاجتماعي العصر العباسي الأول، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط٠٧، ١٩٦٤م)، ج ٢ ص ٣٤٠.

وهجومهم المستمر عليها، مثال ذلك: بشار بن برد، وأبو نواس، ومطيع بن إياس.

ويرجع سبب سخرية هؤلاء من الشعراء القدماء لعدم تواافق مضامونة مع طبيعة الحياة العصرية الحضارية.^{٣٨} وقد ظهر كثير من الشعراء الذين نهجوا مناهج جديدة في المعاني والمواضيعات، و الأساليب، حتى فاقوا في كل ذلك من سبقهم من الشعراء الإسلاميين و حتى المخضرمين الجahلين، وأشهرهم: أبو نواس وهو من أذاع القول في التخمر و الغزل و الصيد، و غير ذلك من فنون الشعر التي تناسب ما انتشر في العصر العباسي من حضارة، و ترف و سخرية من الأطلال التي جرى الشعراء على الإشارة بذكرها

ونجد كذلك من الشعراء الذين أخذوا عن قول في
تحديد الشعر، أبو تمام الطائي الأكبر المشهور بنزعته
الفلسفية والعقلية، و تلميذه أبو عباد البحتري صاحب
الأوصاف البدعية والمدائح الخالدة، وابن الرومي المعروف

^{٣٨} . المراجع نفسه، ص ٣٤٠.

^{٣٩} . حسن إبراهيم حسن، تاریخ الإسلام السياسي الديني و الثقافي والاجتماعي العصر العباسي الأول، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

بطول نفسه وغزارة شعره، وغوصه على نادرة المعاني،
وعجيبة التصويرات.

وأيضاً أبو العتاهية الذي برع في فنون الشعر، فاشتهر بالغزل الرقيق على الأنصب، وقد امتاز شعره بالحكمة والمواعظة. ونذكر أيضاً أبو الطيب المتنبي الذي اشتهر بشعره السياسي والحكمي. وكذلك أبو العلاء المعري الذي اشتهر بنزعته الفلسفية التي كانت طاغية على شعره وغيرهم.^{٤٠}

وقد تعرض الشعر العباسى إلى عوارض أثرت في
أسلوبه ومعانيه وأغراضه وأوزانه.

١- في أسلوبه يتمثل في هجرة الكلمات الغريبة، وعدوبة التراكيب ووضوحاها، واستحداث البديع والإكثار منه، وترك البدا بالمقدمات الطللية الغزلية القديمة، والبدء بوصف القصور والخمور والبالغة في المدح والهجاء، والإكثار من التشبيه والإستعارة والحرص على التناسب بين أجزاء القصيدة، ومراوغة الترتيب في التراكيب.

^{٤٠}. المرجع نفسه، ص ٣٤٠.

٢- في معانيه فبتولد المعانى الحضرية، واقتباس الفكار الفلسفية، إذا أكثر شعراًء ذلك العصر ولدان جنسين ورضاع لغتين أدبتين، وربأب حضارتين مختلفين، وهذا اللقاء من الأثر في الفكر والعقل ما يعلل وفرة المعانى الجديدة.

-٣- في أغراضه يتمثل في المبالغة وفي وصف الخمرة
ومجالسها، ووصف الرياض والصيد والغزال،
والمحبون والوعاظ، والإرشاد والزهد
والأخلاق، وضبط العلوم كالنحو وغيرهم.

٤- في أوزانه ويتمثل في الإكثار من النظم في البحور
القصيرة وابتداع أوزان أخرى كالمستطيل،
والمنتدر، وهما عكس الطويل والمديد
والموشح، والزجل، وكذلك في القافية
المسمط والمزدوج.^{٤١}

^{٤١} أحمد حسن الريداد، *تاریخ الأدب العربي* (بیروت: دار المعرفة، ط٨، ٢٠٠٤م).

۱۸۴-۱۸۴: ص

ساعدت عدّة عوامل في العصر العباسي على ظهور
مناهج جديدة في الشعر ومعانيه وأخياله، وأساليبه في الأدب
عامة وهي:

١. اختلف تصور الحياة وقيم الأشياء في الدولة العباسية عن نظائرها في الحياة الجاهلية وفضائل العرب الجاهلية لم تعد في نظر الذين عاشوا في العصر العباسي الأول مما يتغنى

. ٤٦

تطور الحياة المادية التي كانت في أيام الجاهلية تقوم على السذاجة وذلك راجع لتعدد اعمال الناس، وزيادة تحاربهم في العصر العباسي.

٢. انتشر الشعوبية التي قامت على الحط من شأن العرب ونقد أشعارهم ومعانيهم.

- ٣- أثر الثقافات الأجنبية والفارسية، خاصة في الشعر والنشر العباسى، إلا أنه على الرغم من هذا ككل لازلنا بحاجة في اللغة العربية بعض البقايا من قيود الشعر القلم كالقوافي والأوزان.

٤. اعتماد الشعراء طوال أيام العباسين - عدا فترات قليلة
- على تشجيع الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة،

فكان كل اعتماد الشعرا في كسب عيشهم على التقرب
من الخلفاء والمقررين إليهم من العظماء ومدحهم
والحصول منهم على العطايا، وهذا كان الإغرار في المدح
من أهم مميزات الشعر العباسي في أيامه.^{٤٢}

وكانت الانتصارات المتتالية التي ظفر بها الخلفاء العباسيون على الروم حافزاً كبيراً لدى الشعراء لإنشاء القصائد الرائعة للإشادة ببطولاتهم وما أحرزوه من نصر في سبيل دفع خطر الأعداء على المسلمين.^{٤٣}

أخيرا يمكن إجمال مظاهر التجديد التي عرفناها في القصيدة في العصر العباسي في مظهريْن و هما :

أولاً : ما تعلق بالجهود التجديدية التي مرت بعض الأغراض
الشعرية التقليدية القديمة مثل:

أ- الوصف

حيث أصبح ينصب على وصف القصور والخلافة، والخلفاء والصياد، ووصف الطبيعة و الرياض في

^{٤٣} . حسن، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٣٤٣

^{٤٣} . المرجع نفسه، ج ٣، ص ٣٤٣

فصل الربع، ونجد في هذا ابن الرومي يصف الرياض
فيقول :

ورياض تخايل الأرض فيها خيال الفتاة في الأبراد

ذات وشىء تناسجته سوار لبقات بحوكه وغواود^{٤٤}

ب- الرثاء

ظهر ما يسمى برثاء المدن، كما فعل الشاعر الجريمة
في رثاء بغداد لما دمرت في حرب الأمين و المؤمن.

كرثاء المتناسبات ويبرز فيه المتنجي، وتعد أشهر
قصيدة له رثاؤه لخولة أخت سيف الولة فيقول :

يا أخت خير أخي يا بنت خير أب

كنية بهما عن أشرف النسب

لا يملك الطرب المخزون منطقه

ودمعة وهما في قبضة الطرب^{٤٥}

٨. ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٢م)، ص: ١٢.

ت - الہجاء

وفيه ظهر ما يسمى بالهجاء السياسي، وقد اشتهر فيه كل من شار بن برد، والمتني، وفيما يلي قول المتني يهجوا الأخشيدي :

أكملما اغتال عبد السوئ سيده أو خانه فله في مصر تمهيد
صار الخصي إمام الأبقين بيها فالحر مستبعد والعبد معبد
نامت نواطير مصر عن ثعالبيها حتى بشمن وما تفني العناقيد

ث - الغزل

وفي ظهر ما يسمى بالغزل الإباحي، ونجد في هذا قول ابن الرومي :

أبكيتني فبكىت
من غير ذنب جنيت
ولو أمرت أن أقضى الـ
حياة أيضا قضيت

^{٤٥} . متنبي أبو الطيب، ديوان المتنبي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٤م)، ص. ٢٧.

^{٤٦}. المرجع نفسه، ص ٨١

^{٤٦}. المرجع نفسه، ص ٨١

^{١١} . ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، ص: ٢٤٧.

ثانياً : ما يتعلّق بالجهود التي استحدثت ومنها ما استحدثه
الشّعراء العباسـيون من انجاهـات شـعرية معروفة و
أشهـرواها

١ - الشعر الفلسفي

نجد من أشهر رواده أبو العلاء المعري، حيث نجد
يقول في أحكام الحظ وأو هام الحياة.
تباركت أنهار البلاد سوائج

بعد و خصت بالملوحة زمز

هو احظ غير غير البيد ساف بأنفه

خزامي وأنف العود بالذل يحزم ^{٤٨١}

٢ - اتجاه التصوف

وهذا مهدت له الخطابة، وكان على رئاسة الحلاج.

^{٤٨} أبو العلاء المعري، ديوان لزوم مالا يلزم، (بيروت، دار الكتاب الغربي، ٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٣٠٤.

٣ - الشعر التعليمي

الهدف منه التعليم : ويقصد من خلال توصيل تعليمات في القصيدة يكتسيفها المخل للقصيدة.

وفي هذا الصدد نجد أبو العتاهية يقول :

لاتؤمن الموت في طرف ولا نفس

ولو تسترت بالبواب والحرس

واعلم بأن سهام الموت

نافذة لكل مدرع منها ومتres

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها

إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِيُ عَلَى الْيَسْ٤٩

^{٤٩} أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية، (بيروت)، دار الصدرن ط ١، ١٩٩٨م)، ص ٢٣٠.

٢. لمحات عن شعر أبي نواس

وكانت اغلبية شعر أبي نواس تحتوي على المدح والرثاء وبعض الوصف والفخر والهجاء والطرדיات والزهديات والغزل والخمريات. وأما الأربعه الأولى أعني المدح والرثاء والوصف والفخر من شعره التقليدي فتكلف تكالفاً وأجاد فيه وكذلك تتبع الأساليب وردد معانٍ الأقدمين. وأما الهجاء والطرديات والزهديات والغزل والخمريات من شعره التجديدي. دعا أبو نواس إلى تحديد ميله إلى الانطلاق والشذوذ والخلاعة والترف، والبيئة الملائمة لنزعاته الطبيعية. °

١ - الشعر الخمري

وكان شعر الخمر لأبي نواس أبلغ وامتاز إذا
فرون بالخمريات التي وجدت في هذه العصر وفي خزانة
الشعر العربي كلها. تفوق أسلوبه عنها حتى حقق
القاد بعد أن أبا نواس له دور كبير في جعل الشعر
الخمري كفن مستقل للشعر العربي. وذالك لأن أشعاره
ومغنياته عنها تختلف الغير، ولا يقال لها أحد قط. وإذا

^{٣١٨}. حنا الفاخرى، تاريخ الأدب العربى، (بيروت، المطبعة البوليسية)، ص.

كان شاعر الخمرة قبله يعبر عنها إجمالياً، فإنه يجعل من خرياته موضوعات تامة ذات تفاصيل وأدخل فيها قصصاً.

أما قدرته على تحقيق هذه العملية وتأكيدها لإجراء شاعريته في الخمر على سجيتها، ولأجل ذلك كانت خرياته مجلّى شخصيته. إنه يشير إلى الخمر وخبر نفسه حسنته وسليانها، فوصل إليها عن معرفة صحيحة.^{٥١} إذا لم يتغنى أبو نواس في شعره هذا إلا بالواقع، ولم يكـد يعتمد فيه على غير الحس، فهو يتناول الخمرة كما تقع في حواسه.

إن أبو نواس قد اتسع الشعر الخمري اتساعاً شديداً، وتكمل صورته حتى له وحدته الموضوعية. واستعلن في ذلك بمحالاته الخيالية التصويرية البدعية التي رفده بكثير من التشبيهات والإستعارات البارعة، حتى يجعله بباب ثابت من أبواب الشعر، يفرد له القصائد، ويريد أن يجعله محل البكاء التقليدي على الديار.^{٥٢}

^{٥١}. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأعصور العباسية، (بيروت، دار العلم للملاتين، مجهول السنة)، ص. ١٦٠.

^{٥٢}. نجيب محمد البهـي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث المـجري، ص: ١٧٥.

وبذلك كله لا يشك إذا داعي أن أبو نواس
شاعر الخمرة غير المنازع، بل أستاذ هذا الفن الخمرى
في الشعر العربي سواء من حيث كمية أو الكيفية. فقد
عاش للخمرى يتغنى بها مجاها بالسوق والمحون.
فلا حيات في رأيه سوى حياة الخمر والمحون في بيوت
القىان والحانات. حتى أنه يدعوه في خمرياته إلى العدول
عن وصف الأطلال إلى وصف الخمر والمتعة، فيقول:

لاتبك ليلي ولا تطربي إلى هند وشرب

على الورد من الحمراء كالورد

كأس إذا انحدرت في حاق شاربها أجده

حمرتها في العين والخد

فالخمر ياقوطة والكأس لؤلؤة

في كف جارية ممشوقة القد

تسقيك من عينها خمرا ومن يدعوها خمرا

فمالك من سكريين من بد

لي نشوتان وللن دمان وحدة شيء

٥٣ خصخت به من بينهم وحدی

٢ - شعر الغزل

وفن الغزل من فنون الشعر العربي القديمة منذ ظهور تمييز هذا الفن بالتجاهين أساسين هما : الغزال العفيف والغزل العابث . ومنهم من وصف المرأة بوصف ظاهرية جسمية ويسمى بالغزل المكشوف ، ومنهم من وصفها بقيمها المعنوية ورأى فيها عناصر الجمال المعنوي لاتقل أهمية عن عناصير الجمال الحسني .^٤

هذا وقد أعاد الشعر الخمرى على ظهور فنون جديدة في الشعر العربي، فأدى وصف مجالس الخمر إلى وصف النسم والغزل به. ومن أسباب التجديد في فنون الشعر العربي عصر العباسى لظهور العقائد الدينية وتبتعد عن أخلاقيات الأصالة العربية وعن روح الإسلام.

^{٥٣} علي فاعر، ديوان أبي نواس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ص. ١٤٩.

^{٣٦} على فاعر، ديوان أبي نواس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ص. ٣٦.

كان أبو نواس لم يعد يكتفي بأن تغزل بالغلمان
عزل صريحاً لا يخلو من الإستهتار والفحش، بل أخذ
يصف المرأة بأوصاف الغلام، كأن المرأة لم تعجيه فيها
الأنوثة والرقابة والخفر. وهذا قطعة من شعر أبي نواس

أبت عيناي بعدهك أن تناما	وكيف ينام من ضمن السقاما
مذكرة مؤنشة مأة	إذا بزرت تشبهها غلاما
تعاف الماء والعسل المصفي	وتشرب من فتونها المداما.

فقد أبت عيناه أن تنام بعد فراقها، ومن أين له
بالنوم مadam أبو نواس مريض الفراق لما يلاقي من العناء
والحب واللحظة أن ابا نواس يعظم شكل الغلام فيلجاً
إلى تشبيه حبيته بالغلام، وأن تكون به فتية قوية تسرك
من الخمر الشباب وتنسق من ريحانه.

٣ - شعر المدح

لقد رأينا أن أبو نواس شاعر (التجديف) وحامل لواهه، وأنه خصم للقديم وأشد أعدائه. فقد كان أبو نواس قليل المدح نسبياً، كان أبو نواس في وصف للذات وأهواء

٣٩٠ . المرجع نفسه، ص.

النفس وعواطفها شاعرا حرا كجدد، يرسل نفسه على سجيته، فلا ينحر أبو نواس الشريف ولا الوزن والقافية والسلوب المتن.

فإذا محاولنا المقارنة بين مجونة وتغزله من جهة، وبين مدحه أو فخره من جهة أخرى، فعننا لاتشعر بوجه المقارنة، وإنما تشعر بأن أبو نواس الذي شهدناه غير الذي نتعرف عليه في مدائحه. فمن مدحه:

رضينا بالأمين عن الزمان
فأضحي الملك معمور المغاني

تمنينا على الأيام شيئا
فقد بلغ مما تلك الأماني

تلك الشعر السابق يدل على مدحه إلى الأمين، عن العباسين دفعوا على الأمين في الخلافة حتى يصير معمور المنازل. لهم الأماني الذين بلغوه يومئذ. وما هو الأمتي؟ ثم يستمر قوله : بأزهر من بنى المنصور تمني".

٤ - شعر الوصف

عدم الالتزام بالقواعد الأساسية والأصول التقليدية للقصيدة العربية ، فقد رفض المحدثون في العصر العباسي تقليد القدماء ويأتي على رأسهم أبونواس الذي كان يتمسّ شعره بوضوح والابتعاد عن الصنعة كما يتميز برصانة لغته.

أبو نواس شاعر الخمر وكان في وصف الخمر لين
العبارة، و سهل التراكيب، و سلس المعاني، وبعيداً عن
غريب اللفظ و ابتكر في هذا الوصف معانٍ جديدة منه
هذا القول :

لَا تُسْقِنِي سُرًّا

إِلَّا فَاسْقُنِيْ حَمْرًا وَ قُلْ لِيْ هِيَ الْخَمْرُ

وَلَا تُسْقِنِي سَرًا إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ

فَمَا الْغَبَنُ إِلَّا إِنْ تَرَانِي صَاحِبًا
وَمَا الْغَمْثُ إِلَّا أَنْ يَتَعَتَّنِي الشَّكْرُ
فَبَحْ بِاسْمِ مِنْ تَهْوِي وَدَعْنِي مِنْ الْكُنْيَةِ
فَلَا خَيْرٌ فِي الْلَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سُتُّ

و خمّارٍ نبَهْتُهَا بعْد هَجَعِهِ
و قد غابت المجزاء و ارتفع التسرُّ

٥ - شعر الهجاء

لم تعد العصبيات أساس المحماء في شعر هذا العصر، وإنما اهتم الشاعر بسلب المهجو إلايحائية والمثالية الخلقيّة. وإلصاق المثالبز به. فكان المحماء يأتي طعناً وتحقيراً ورمياً بالقذارة والدنس والبخل والظلم.

هجاء أبي نواس متين التركيب، خشن، لاذع
وحاضر النكتة.

إذا قسمنا هجاء أبي نواس وجدناه في قسمين
كبيرين: أولهما الهجاء القومي القبلي و ثانيهما الهجاء
الشخصي. كان أبو نواس ينهرج في الهجاء نهرج شعراء
العصر الأموي كالفرزدق وجرير في المادة والأسلوب. في
الأبيات الآتية هجا الرقاشي:

لَوْمَتْ يَا أَحْمَقُ لَمْ أَهْجُّكَا **إِذَا جَئْتَهُ قُلْ لِلَّرْ قَاسِيٌّ**

لَا نَنْهَاكُمْ عَنِ الْمِرْضَىٰ وَلَا أَقْرَئُنَّهُ يَوْمًا إِلَى عِرَضِكُمْ

إن تهجنى تهجن فتىً ماجداً
دونك عرضي فاهجحه راشداً
لا تدنس الأعراضُ من هجوكا
لاريقُ الطرفُ إلى مثلِكا

٦- شعر الفخر

لم يستطع بعض الشعراء أن يخلصوا من الفخر
القبلي كتعصب أبي نواس مثلاً لمواليبني سعد، وتعصب
بشار للقيسيين. والجديد في شعر الفخر أن بعض الشعراء
أخذوا يصدرون في فخرهم عن أحاسيسهم بالمرؤة
والأخلاق والقيم المثلى. وللحشعلى الجهاد وملاقاة
الاعداء وفخر بالبطولات في المعارك للإثارة والحماسة،
كشعر أبي نواس :

ومستعبد إخوانه بثرائه
لبست له كبرا لأبر على الكبر
إذا ضمّني يوماً و إياه محفلاً
رأى جانبي و عراً يزيد على الوعر
أحالفه في شكله وأجرعه على
المنطق المنزور و النظر الشزر

وقد زادني تيهًا على الناس أني
 أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر
 فوالله لا يُبدي لسانِي حاجةً
 إلى أحدٍ حتى أَغَيْبَ في قبري
 فلا تطمعن في ذاك مني سُوقَةُ
 ولا ملُوكُ الدنيا المُحْجَبُ في القصر
 فلو لم أرث فخرًا لكانت صيانتي
 فمي عن سؤال الناس حسي من الفخر

-٧- شعر الرثاء

شهد شعر الرثاء نشاطاً خاصاً حيث واجهه أغلبه
 لرثاء منيموت من كبار رجال الدولة كالخلفاء والوزراء
 والقادة وركزوا على تمجيد البطولة والقوة في المرثي كرثاء
 حسن بن هانئ رثأ أساتذته منهم والببة بن حباب وخلف
 الأحرم وأيضاً حزن على موت الأمين ورثاه:

طَوَى الموتُ ما يَبَينُ وَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ
 وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاسُرٌ
 فَلَا وَصَلَ إِلَّا عَبْرَةٌ تَسْتَدِيمُهَا
 أَحَادِيثُ نَفْسٍ مَا لَهَا الدَّهْرُ ذَاكُرٌ

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحَدُ الْمَوْتَ وَحْدَةٌ
فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَادِيرٌ

لَشَنْ عُمْرَتْ دُورْ بِمَنْ لَا أَوْدَةٌ
لَقَدْ عُمِّرْتْ مِنْ أَحِبَّ الْمَقَابِرِ